

بين التقليد والتجديد

بحوث جمعها الدكتور محمد النويهي . نشر المنظمة العالمية لحوية الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٣

حسن سعيد ، كبير الاقتصاديين الزراعيين ، وكان بحثه عن « اثر التقاليد في التنمية الزراعية » كعائق ادى الى ما يسمى بحالة الاستقرار والتخلف الاقتصادي . وعلاجه احد امرين ، التوعية السريعة عن طريق الارغام : ولكن رأى ان هذا الطريق قد يقضي على التماسك الاجتماعي بما له من قيم اخلاقية ؛ لذلك اشار الى طريق آخر هو التوعية البطيئة عن طريق التأثير والاقتناع ، بما في ذلك الطريق من طول الوقت .

الا انه قد يؤخذ على هذا البحث القيم هذه النظرة الى التقاليد والتنمية على انها لا يتفقان ابدا . فالتطوير في وسائل التنمية قد يرتكز على التقاليد كنقطة انطلاق حتى لا تحدث فجوة في البنيان الاجتماعي بين النظام الاقتصادي وسائر النظم الاجتماعية الاخرى التي لاحظها الباحث في حديثه عن التوازن بين التنظيم السياسي والاجتماعي وبين النظام الاقتصادي . وعذر الباحث في نسيانه لهذا التوازن بل في دعوته الى تخطيطه لصالح التنمية الاقتصادية هو ما تشعر به هذه المنطقة النامية من حاجة ماسة الى تنمية زراعية واقتصادية .

وفي بحث الدكتور ابراهيم محمد خليل ، مدير الثروة الحيوانية بالسودان ، عن « اثر التقاليد في تنمية الثروة الحيوانية » نرى المأما واسعا بمبادئ القبائل النبيلة كالشلوك والنوير والدينكا وما تعنيه

هذا الكتاب عبارة عن بحوث في مشاكل التغيرات الاجتماعية التي تواجه احدى الدول الافريقية الغنية ، وهي السودان . وقد القيت هذه البحوث جميعها في المؤتمر الذي عقد في الخرطوم في كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ ودعت اليه المنظمة العالمية لحوية الثقافة بالاشتراك مع جامعة الخرطوم ، واستجاب لهذه الدعوة لفيف من العلماء من داخل السودان وخارجه ، بعضهم تقدموا بابحاث قيمة هي التي تضمنها هذا الكتاب . وقد عهد الى الدكتور محمد النويهي ، استاذ الادب العربي بالجامعة الامريكية بالقاهرة ، الذي اشترك ببحث في هذا المؤتمر ، باعداد هذه البحوث للنشر ، وقدم الدكتور ابراهيم مذكور الكتاب بقوله : « والحق انه قل ان يوجد مكان اكثر ملاءمة لمناقشة موضوع التقليد والتجديد من الخرطوم ، فالسودان شعب ناهض له ماضيه الزاخر بتاريخه ، ومستقبله الزاهر بآماله ... والملاءمة بين القديم والجديد مشكلة الامس واليوم ، ولعلها مشكلة الغد ايضاً » .

يشتمل الكتاب على واحد وعشرين بحثا مجموعة في سبعة ابواب ، اولها في التنمية الاقتصادية التي تعتبر الحافز والهدف معا للدول النامية الى رفع مستواها المعيشي . وقد عالج موضوع الباب الاول ثلاثة من كبار المختصين في حكومة السودان وجامعتها ، احدهم السيد يوسف

مجالاً من الحرية للحاكم ان تضيف قاعدة بعد
قاعدة في سعيها المتصل لمسايرة التقدم القومي
للبلاد .

اما بحث البروفسور ج . ن . اندرسن عن
« تجديد القانون الاسلامي في السودان » فيمتاز
الى جانب الاطار التاريخي بالدسامة والفهم لقضية
ازدواجية القوانين في مصر والسودان والاصلاحات
الحديثة التي ادخلت على قوانين الاسرة ، وتنبأ
الباحث بتوحيد الحاكم في السودان كما حدث ذلك
في مصر وتونس والعراق .

وقد نال « التعليم والثقافة » ، الذي خصص له
الباب الرابع ، نصيب الأسد من بحوث هذا
المؤتمر . فقد اعتبر السيد نصر الحاج علي ، مدير
جامعة الخرطوم ، التعليم مفتاحاً لجميع نواحي
التقدم ، وذلك في بحثه القيم « التعليم والتطور » مع
نظرة خاصة الى السودان . كما تحدث الدكتور
فغولا زيادة عن « الجامعة في العالم العربي »
والسيد محمد عمر بشير عن « المثقفين السودانيين
والمجتمع المتغير » ، ورأى كلا الباحثين الاخيرين
انفصالاً بين الجامعات التقليدية كالأزهر وبين
الجامعات الحديثة ، وقد تغالى السيد بشير حين
استبعد من طبقة المثقفين خريجي معاهد الدراسة
العليا التقليدية كالأزهر والمعهد العلمي بأم
درمان .

ولعل في بحث البروفسور سبروت عن
« سيكلوجية التقدم في المجتمعات المتقدمة » التي
حواسها الباب الخامس بعض التحذير من اسلوب
التغالي الذي انتهجه السيد بشير . فقد حذر
البروفسور سبروت في نهاية بحثه من التهكم او
التضحية بالتقاليد لشيء الا لجرد الرغبة في التقليد
والتجديد ، اذ ان التقاليد تدم الجماعة بالناسك
العاطفي والطمأنينة . وتناول في بحثه دور الدين في
ميدان الاصلاح الاجتماعي في اوربا ، وعرض
لنظرية ماكس فيبر - التي تعارض نظرية كارل

الماشي لکل من هذه القبائل اجتماعيا واقتصاديا .
ويقترح الباحث بعض الوسائل لتنمية الثروة
الحيوانية والمقبات التقليدية التي تقف حائلاً دون
ذلك . ولا ينسى في ختام بحثه - شأنه في ذلك
شأن الباحث المتقدم - ان يؤكد ان التقاليد آخذة
في التفتقر سريعاً امام نظرة واقعية تستند الى
القيم الاقتصادية .

ويختتم الدكتور رشدي حنين ، المحاضر بكلية
اقتصاد جامعة الخرطوم ، الباب الاول ببحث ضاف
مدعم بالجدول الاحصائية العديدة موضوعه
« التطور الاقتصادي والهجرة الداخلية في
السودان » ، تناول فيه مديريات السودان التسع
وبين ان نسبة الامية تزداد كلما توغلنا الى الجنوب
حتى تصل الى ٧٠ ، ٩٢ ٪ في بحر الغزال ، اذا
اخذنا السن الازامي للتعليم كقياس لهذه النسبة .
وتناول البحث كذلك كثيراً من مظاهر التغير
الاجتماعي الذي يبدو اثره واضحاً كلما تقدمنا الى
شمال السودان . وقد ربط الباحث بين النمو
الاقتصادي وبين الهجرة الداخلية حيث تكلم
باسهاب عن طريقها وقياسها .

الا انه يؤخذ على الباحث محاولته الفصل بين
النمو الاقتصادي وبين مستويات الدخل والانتاج ،
اذ ان مستويات الدخل والانتاج هما من مقاييس
النمو الاقتصادي .

اما البابان الثاني والثالث من الكتاب فخصصا
« لتطور القانون » و« للارادة والحكم » ،
حيث تحدث السيد محمد احمد محجوب وزير
الداخلية السابق عن « التقدم القومي والجهاز
القضائي في السودان » فعالج الموضوع معالجة
تاريخية اكثر منها قانونية ، وانهى بحثه بالاشارة
الى مرونة القانون السوداني وقابليته للنمو للملاقة
الاحوال الاجتماعية الدائمة التغير ، ذلك لان
القانون السوداني في عموه قانون غير مجموع ،
شأنه في ذلك شأن القانون الانكليزي ، الذي يترك

التقدم ، وإذا كان التقدم الاجتماعي يأتي عن طريق الاقتناع لا الارغام ، فواجب القادة ان يشيدوا البنين الجدد على دعائم من التعاليم الدينية والاخلاقية الصحيحة التي تعامل المرأة على قدم المساواة مع الرجل . ولا يتسنى غرس هذا في ضمير الجماعة الا بالتعليم الذي يجب ان تنال المرأة منه اقصى حظها .

وتحدثت السيدة فاطمة طالب اسماعيل في بحثها عن « مشاركة المرأة السودانية في الحياة العامة » عن اثر التعليم في مشاركة المرأة السودانية في الحياة العامة وعن اثر وسائل الاعلام في تبصيرها بحقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ومن اقيم البحوث التي القيت في المؤتمر وحواما الكتاب بحث البروفسور ادوارد شلر « نظرة ثانية في التقليد والتجديد » ، حيث يرى انه لا مندوحة لاي شعب في الوقت الحاضر الذي امتاز بالسرعة والاتصال من ان يمزج بين هذين العاملين ، الا ان عملية المزج هذه تتطلب وقتا وتتطلب نية صافية ومجهودا خلاقاً . بهذه الطريقة سيولد اسلوب تعبيرى جديد يعطي تراث الماضي الفريد حقه ويعطي القيم الجديدة حقه .

وخاتمة المطاف كانت مع السيد جمال محمد احمد في بحثه « السودان بعد عشرين عاماً » ، الذي تنبأ فيه للسودان بدور القيادة الافريقية للدول النامية التي تحررت حديثاً وتحرر كل يوم .

والكتاب في عموميه يستحق اهتمام طلاب العلوم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، خصوصاً هؤلاء الذين يتوقون الى معرفة الكثير عن السودان في هذه الفترة ، حيث يجد السودان نفسه وجهاً لوجه امام عوامل التغيرات الاجتماعية المديدة ، ويريد ان يحافظ على التوازن بين تراثه الحضاري من التقاليد الراسخة وبين تقدمه الاقتصادي المنشود ولعل عنوان « التقاليد والتغيرات الاجتماعية » قد يكون انسب لمواضيع هذا الكتاب من

ماركس - في التغير الاجتماعي ، ودعواها ان الثورة الصناعية في اوربا جاءت نتيجة لانشقاق المذهب الكلفني عن الكنيسة الكاثوليكية التقليدية . الا انه ذكر ان التقاليد الدينية في البلاد النامية قد تموت تطور الاساليب في الحياة اذ كثيراً ما يستخدم الدين سلاحاً ضد التجديد .

ويؤخذ على البروفسور سبروت سطحية البحث وعدم الاطلاع على النقد الذي وجهه سوروكن وغيره لهذه النظريات الجزئية القديمة للتغيرات الاجتماعية ، كذلك عدم المامه والملم اغلب الباحثين من امثال السيد بشير بطبيعة المرونة الاجتماعية في نظام الدين الاسلامي الذي سائر التطورات والظروف الاجتماعية المختلفة لدول عديدة في مختلف العصور .

وتناول الدكتور طه بعشر في بحثه « سيكولوجية التقدم » دور التقاليد ووظائفها في تكامل نفسية الجماعات ونمائها . ثم تحدث عن سيكولوجية التغير الاجتماعي في بنية الحياة القبلية والتكيف الذي يحدث لقوم رحل حتى يتلاءموا مع حياة القرية المستقرة ومع النظام الزراعي الجديد . وفي حديثه عن الطريق الى التقدم . نوه بعامل الرغبة في الابداع والتطور كشرط اساسي للتغير الاجتماعي ، وذكر كذلك التعليم كوسيلة للتقدم ، وبين العلاقة بين الصحة والحرية من جانب وبين التقدم والارتقاء من جانب آخر . ويمتاز هذا البحث بالاصالة والعمق والاتزان .

اما الدكتور محمد النويهي في بحثه عن « مشاكل تحرير المرأة في المجتمع العربي المسلم » فينظر الى الموضوع التقليدي من زاوية اجتماعية جديدة يعاني منها الجنسان نفس المصير ، فبقاء المرأة العربية المسلمة متخلفة خاضعة يكون على حساب المجتمع عامة وعلى حساب الرجل - زوج او ابن او اخ او صديق - بصفة خاصة . واذا كانت المجتمعات العربية الاسلامية تقوض اليوم معركة

بنصيب كبير في البحوث والمناقشة ، وهذا في ذاته دليل على حركة التغير الاجتماعية البناءة التي تساهم فيها المرأة السودانية بقسط وافر . وقد جمع المؤتمر بين كثير من العلماء الذين ينتمون الى جنسيات مختلفة ومذاهب سياسية عديدة ، كان رائدهم جميعاً الاستفادة الى اقصى مدى من البحوث التي القيت في جو سادته التعاون التام والمناقشات العميقة والنقد المتزن الهادئ .

عبد الله غطوي

عنوانه الحالي : لان « التقليد » (المحاكاة) قد يكون نفسه عاملاً من عوامل التغيرات الاجتماعية كما هو الحال في السودان وفي مختلف البلاد النامية التي تحاول تقليد الدول الصناعية في تقدمها العلمي والتكنولوجي ، اما « التقليد » فهو الذي يأتي من مقابلة التغيرات الاجتماعية .

كلمة اخيرة عن مؤتمر الخرطوم الذي القيت فيه بحوث هذه الكتب : كان لاشتراك المثقفين من ابناء السودان بالبحوث والمناقشة والاستماع اثر كبير في نجاح المؤتمر . وقد اشتركت المرأة السودانية

الرسم عند العرب

Arab Painting,

by Richard Ettinghausen. Skira, Geneva, 1962.

في اوساط مؤرخي الفنون التقليديين . وليس من الانصاف لوم المثقف في الغرب على جهله بشؤون الرسم عند العرب ، او اخذ جهله هذا على انه نتيجة عداوة ثقافي : فاني اشك فيما اذا كان اطلاع المثقف العربي المعاصر على تراثه الفني وعلى المراثيات اوسع من اطلاع قرينه الغربي . فعلى الرغم من النهضة الفنية في بعض العواصم العربية ليس هنالك في الحياة العربية ما يوحي بان ما يراه الانسان يشكل اية اهمية له . واعتقد ان معظم القراء العرب الذين ينظرون الى الرسوم في هذا الكتاب ينظرون اليها لأول مرة .

ولا نستطيع ان نلومهم هم ايضاً ، لان الظروف المتناقضة التي واجهت الحضارة العربية والتي لم تواجه اية حضارة اخرى جعلت الاطلاع على الرسم العربي قبل صدور الكتاب الذي نحن

هذا الكتاب حدث اكبر مما يوحي به حتى مظهره الممتاز وسعره المرتفع (٢٢,٥ دولاراً) . ذلك لان معظم الناس يجهلون الرسم العربي جهلاً غريباً : فالمثقف الغربي مطلع اطلاقاً وافياً على الفنون اليابانية والفارسية والهندية لكنه يجد صعوبة كبيرة في ذكر اثر فني عربي واحد . وفي المتاحف الاوربية والأمريكية تصنف الفنون العربية مع الفنون التركية - والفارسية والقبطية والاسبانية العربية تحت التسمية العامة « الفنون الاسلامية » . ويكاد يكون الكتاب الانكليزي الوحيد الذي يبحث في هذا الفن هو كتاب طوماس آرنولد « الرسم في الاسلام » الذي نشر في ١٩٢٨ . وهكذا فان اتفهوزن ، باستعماله لفظة الرسم « العربي » ، يكون قد ضرب بجرأة على وتر جديد واثار نقطة سميكت عنها لفظ كبير